مدينة الرماحية

الموقع والتاريخ :

هي مدينة عراقية مندرسة تقع ضمن الحدود الادارية لمحافظة الديوانية وقد تبعد حوالي ٣٠ كم الى الشمال الغربي من مدينة الديوانية * وقد ذكرها بعض مؤرخي الدولة الايلخانية في العراق ورواه التستري صاحب كتاب (مجالس المؤمنين)فقال أن بعض العشارين كانو يقيمون في الرماحية على عهد السيد والعالم الكبير عبد الكريم بن طاووس المتوفي سنة (٦٩٣) هـ وبمعنى أخر أن الرماحية كانت موجودة أثناء العصر العباسي ألاخير أي أن تمصيرها تم خلال النصف الاول من القرن السابع الهجري وأستمرت خلال سنوات الاحتلال المغولي وألايلخاني ودولتي الخروف الابيض والاسود ومن ثم الدولة الصفوية حيث كانت مدينة الرماحية في هذا العصر بدرجة لواء وقام الشاه (طهماسب الاول) بمنح هذا اللواء الى أحد ضباطه المخلصين المسمى (صالح سلطان) كما أنه وهب فيما بعد جملة من مقاطعات الرماحية كان من ضمنها أراضي (كاهن الوعد) للشيخ نور الدين علي بن حسين بن عبد العالي الكركي الذي كان مرافقاً للشاه الصفوي وكتب له بها عهداً مؤرخاً في ١٦/ذي الحجة من سنة ٩٣٩هـ الموافق ١٥٣٢ وفي عام ٩٤١هـ / ١٥٣٤ م قام السلطان سليمان القانوني بعد دخوله بغداد محتلا لها بتقسيم ولاية بغداد الى سبعة عشر سنجق وهب منها سبعة الى قواده المخلصين وكان أحد هذه الالوية سنجق الرماحية وأستمرت على هذا الحال الى سنة ١٧٠١ م

---

*تعد مدينة الرماحية من المدن العراقية الكبيرة وهي تماثل وتناضر مدينة بغداد بألاهمية وكانت برتبة سنجق وهي سنجق من أصل ١٨ سنجق بعموم ولاية بغداد أيام السلطان سليمان القانوني وتمتد حدود هذا السنجق من مدينة الديوانية الحالية الى أن تصل الى مدينة الناصرية الحالية وكلمة السنجق هي تركية الاصل ذات معاني عدة حيث تأتي بمعنى الراية أو العلم أو اللواء وخاصة من الحجم الكبير الذي هو أعظم شأناً من البيرق والسنجق يطلق أيضاً على وحدة أدارية أصغر من ألايالة وكان على رأس السنجق مير لواء الذي عليه ان يقدم أثناء الحرب وبهذا تكون حدود مدينة الرماحية كبيرة جداً بأعتبارها سنجق من سناجق العراق الكبيرة في العهد العثماني لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع ينظر (علي ـ علي شاكر ـ تاريخ العراق في العهد العثماني من سنة ١٦٣٨ـ ١٧٥٠ م مطبعة الشعب ـ الموصل ـ ١٩٨٤ ص٢١)

عندما فاض نهر الفرات فيظاناً غير مألوف وقبل ذلك كان فتح نهر ذياب قد تم سنة ١٦٨٨ م / ١١٠٠هـ من فم نهر الفرات الرماحية مما أثر تأثيراً مباشراً على نهر المدينة أي الرماحية وأنقطاع الماء عنها بشكل نهائي سنة ١٨٠٠م حيث أنتقل عنها سكنتها الى مناطق متفرقة من محافظتي الديوانية والنجف الحاليتين حيث تقع أطلالها اليوم بالقرب من أراضي الملاك جاسم محمد الدخين الواقعة في المقاطعة ١٦/ الدهيسية / الشافعية على ضفاف نهر الحفار الحالي [١]

أما أصل التسمية فقد ورد أن تسميتها جاءت من كلمة (روم ناحية) وبمرور الوقت أندمجت الكلمتان بكلمة واحدة تسمى الرماحية ودليلهم على ذلك أن السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠/١٥٦٦)م عندما فتح العراق أسكن طائفة من حاشيته في هذا المكان لأنهم أستطابوه وأختاروه للأقامة وكان ألاهالي يسمونهم روماً على عادة أهل العراق في تسمية الاتراك لذا قيل روم ناحية [٢]

ألا أن هذه الرواية تتعارض مع ماوصل اليه من أخبار ترتقي الى أبعد من هذا التاريخ أذ أن العثمانين سيطروا على العراق في سنة ١٥٣٤م وقيل أن هذه الفترة كان العراق خاضعاً للسيطرة الفارسية وأخبار الرماحية تعود الى زمن الشاه طهماسب الذي أحتل العراق في سنة ١٥٢٩ م وكانت هذه المدينة من ضمن أعماله [٣] والرواية الاخرى كانت تقول أن أصل التسميةجاء كون أهل المدينة كانوا رماحة أي يصنعون الرماح لأن البلدة تقع وسط العراق ويحتاجون الرماح وهذه الرواية هي الاخرى ضعيفة لأن صناعة الرماح سبقت هذا التاريخ وهناك مدن سبقت الرماحية في التأسيس ومعروفة بهذه الصناعة ولم تلقب أوتسمى بهذه التسمية والرواية الثالثة تذكر بأن أشراف البلدة كانوا كرماء عندما يذبحون الذبائح وكانوا يعلقونها على رؤوس الرماح لئلا تصل اليها الديدان والحشرات وهذا الرأي لايمكن الوثوق به لأن العرب كانوا مشهورون بالكرم ولايفعلون ذلك وأنما يقدمونها طازجة عند الانتهاء من الطبخ وتقدم للضيف مباشرتاً

١- الميالي - فيصل غازي - شذرات وسوانح عن السياح اللذين مروا بسنجق لواء الرماحية وبلداته الثلاث - ج١ - مطبعة المارد - النجف ٢٠٠٨ - ص١٧ -١٨

٢- الشبيبي - محمد رضا - مدينة الرماحية - مجلة لغة العرب - المجلد الثالث - ج٣ - ١٩٢٤- ص٤٦١

٣- القهواتي - حسين محمد - العراق بين الاحتلالين العثمانيين ألاول والثاني - رسالة ماجستير - جامعة بغداد - ١٩٧٥ - ص١٢٧- ١٢٩

ومن خلال البحث والتقصي يبدوا أن اصل التسمية تعود الى أن أغلب سكان المدينة ينحدرون من ذرية الرماح مالك بن وبرة الكلبي الذي أشتهر بالرماح[١] وأن قبيلة كلب العربية هي كانت بطن من قضاعة القبيلة العربية المعروفة قد أستوطنت في بادية السماوة فترة طويلة في عصر الدولة العربية الاسلامية في زمن الامويين ومن هذا يتضح جليا ان التسمية كانت متداولة قبل السيطرة العثمانية وكذلك السيطرة الصفوية على العراق وأنما موجودة التسمية في نهاية العصر العباسي الاخير وعلى الرغم من خضوع المدينة الى السيطرة المشعشعية وأصبحت ميناء للسفن الشراعية التي تسير في الفرات مابين البصرة والرماحية وذلك في زمن السيد علي بن محمد المشعشع في حملته على وسط وجنوب العراق التي أنطلقت من مقره الكائن في الحويزة[٢] جنوب شرقي العراق وبنى له حصناً كبيرا في الرماحية ويعتبر هذا الحصن من المؤسسات العسكرية القديمة في الرماحية لأنه اصبح قاعدة لكي ينطلق منها المشعشعين لأحتلال مدينة النجف والحلة وخصوصاً بعدما دب الخلاف بينهم وبين السلطان الايليخاني حسن الطويل [٣]

ومما يؤكد أهمية مدينة الرماحية قيام والي بغداد محمد بلطجي باشا سنة ١٥٥٢م بتوكيل سهيل بك مير لواء الرماحية للقيام بمهام والي بغداد أثناء قيادة الوالي محمد بلطجي باشا للحملة العسكرية العثمانية على التمرد وفي عام ١٦٢٣م خضعت الرماحية الى السيطرة الفارسية (الصفوية) مرة اخرى ووضع الفرس لهم فيها حامية وقد تعرضت هذه الحامية للهجوم من قبل الجيش العثماني التي قادها الوالي العثماني خسرو باشا لأعادة السيطرة على العراق وقد اشتبك احد القواد العثمانين بالحملة المدعو كنج عثمان مع افراد الحامية الفارسية كجزء من الخطة العثمانية لقطع الصلة بين الحاميات الفارسية ،وهذا الدور الذي تلعبه مدينة الرماحية دور مهم في تاريخ العراق مما تضظر القواد والولاة الى الوصول الى مدينة الرماحية وفي حكم الوالي درويش باشا استولى على الرماحية والسماوة ....

١ـ الاثير ـ عز الدين ـ اللباب في تهذيب الانساب ـ الجزء الاول ـ القاهرة ـ ١٣٥٧هـ ـ ص٢٧٤

٢ـ الجابري ـ محمد هليل ـ أمارة المشعشعين ـ رسالة ماجستير غير منشورة ـ كلية الاداب ـ جامعة بغداد ـ ١٩٧٣ـ ص٦٧

٣ـ الريشاوي ـ متعب خلف ـ الرماحية أصل التسمية والنشأة والتطور والعمران والسقوط ـ مجلة القادسية ـ ٢٠٠٢ ـ العدد ١ ـ مجلد ٢ـ ص٢١٢

مدينة الرماحية في كتب الرحالين والمستشرقين

لقد مر بمدينة الرماحية الكثير من الرحالين والمستشرقين وأفادوا عنها الكثير من الاخبار والحكايات فقد زارها الرحالة الايطالي فنشنسو في عام ١٦٥٦ م حيث قال عنها بعد أستراحة قصيرة وبعد ان تزودنا بالطعام سرنا الى الرماحية وهي قرية كبيرة فيها قائد له تحت أمرته عدد من الجنود فأذا بهم يطلبون الرسوم [١] وقد زار المدينة الرحالة الايطالي سبستياني في عام ١٦٥٨م حيث قال عنها بأنه وصل الى الرماحية وقد وجدنا فيها الكثير من المسلمين والعلماء والفقهاء والجوامع [٢] وقد ذكرها الرحالة الالماني نيبور في عام ١٧٦٥م فقال عنها الرماحية مدينة مشيدة على نطاق واسع وهي مؤلفة من حوالي ٤٠٠ بيت والمدينة محاطة بسور عال ألانه كسور البصرة والقرنة يتألف فقط من طابوق غير مفخور وهو بالاضافة الى ذلك ضعيف والعناية به مهملة بحيث يستطيع المرء أن ينفذ من خلاله احياناً وهناك جامع مهم وحمام بديع جداً وأغلب الدور مشيدة بطابوق غير مفخور والقليل منها فقط مشيدة بطابوق مفخور ويعتمد السكان في غذائهم الاساسي على الزراعة وعلى البساتين والتمور العائدة لهم ويروى أنهم موفورو الحال والغنى ويضيف نيبور قائلا نزلت في الرماحية عند أحد السنة حيث كنا مرتاحين هناك أما صاحب الدار فكان ملا في أحد الجوامع وقد جلسنا مع الملا في غرفة مكشوفة الواجهة (طارمة)لينصت الى بعض الاخبار [٣] وقد وصفها وزارها المؤرخ العراقي السيد حمود الساعدي في عام ١٩٥٠ وصل الى المدينة وقال عنها لاتزال خرائب مدينة الرماحية ماثلة ترى حتى اليوم في نقطة تقع على مسافة نحو ثلاثين كيلو متر من شمال غربي الديوانية وقد زرتها في شهر ذي الحجة /١٩٥٠م وقد شاهدت سورها الذي لايزال أكثره قائما وكل ماوجدت فيها من بقايا اثارها (رحى كبيرة) [٤]

١ـ رحلة فنشنسو الى العراق في القرن السابع عشر ـ ترجمة بطرس حداد ـ مجلة المورد ـ مجلد الخامس ـ العدد الثالث ـ ١٩٧٦ ـ ص٨٧

٢ـ رحلة سبستياني الى العراق في القرن السابع عشر ـ ترجمة بطرس حداد ـ مجلة المورد ـ مجلدالتاسع ـ العددالثالث ١٩٨٠ ـ ص١٨٦

٣ـ مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة الى الحلة ١٧٦٥م ـ ترجمة سعاد هادي العمري ـ دار المعرفة للطباعة ـ بغداد ـ ١٩٥٥ ـ ص٧٣ـ ٧٤

٤ـ الساعدي ـ حمود ـ من المدن العراقية المندرسة مدينة الرماحية ـ مجلة البلاغ ـ العدد ١ـ ١٩٧٦ـ ص٤٠ـ ٤١

نبذة عن تخطيط وعمارة مدينة الرماحية

لقد قمت بزيارة ميدانية الى مدينة الرماحية بشكل ميداني وعملي لأكثر من مرة وقد وقفت في الوهلة ألاولى لاأدري الى أين تنتهي حدود تلك المدينة الكبيرة ومن أين أتبتع بداية أسسها فأسوارها وبقايا جدرانها مندرسة تحت التراب لايظهر منها الا الجزء القليل فالمدينة مبنية على مرتفع فهي أعلى نسبياً من الاماكن المحيطة بها وتقع على ضفة نهر قديم ومندرس يسمى فرات الرماحية وهو فرع من فروع نهر الفرات الرئيسي وبموت هذا النهر ماتت المدينة أي هجرها أهلها وسكانها وذلك في عام ١٧٠١م وكما ذكرنا ذلك سابقاً فقد بقيت المدينة تصارع الطبيعة لمدة قرن من الزمان أي ألى سنة ١٨٠٠م أنتهت تماماً وتفرق سكانها الى أماكن متعددة من محافظة الديوانية اليوم .

من خلال تتبع الاسس البنائية المنتشرة داخل المدينة فأنها على أكثر الظن قد تكون على شكل مستطيل غير منتظم الاضلاع وبشكل تقريبي قد يصل أبعاد هذا المستطيل الى (٢٠٠٠×١٠٠٠) م ويحيط بلمدينة سور من جميع الجهات ويبلغ سمكه من الاسفل (١،٥٠)سم وهو مبني بألاجر والجص ومن بعض الاجزاء العليا مبني بالبن والطين وكلما أرتفع البناء الى الاعلى قل سمك السور أنظر (الشكل ـ ١) وتدعم هذا السور عدد من الابراج عددها (٦) وهي متباينة في القياسات والابعاد وكما قلنا أن هذه الابراج هي أيضاً لم يبقي منها سوى الاساسات البنائية أنظر (الشكل ـ ٢) ولاتوجد ضمن حدود السور الخارجية بقايا مدخل واضح للمدينة لأن أغلب أجزاء السور مندرسة وتغطيها طبقات كبيرة من الانقاض .

أما عن داخل المدينة فتوجد الكثير من الابنية وألاسس متكونة على أشكال مختلفة فتوجد بناية كبيرة الحجم يبلغ سمك أسسها البنائية حوالي (٢٠ ،٢) م وحسب تخطيط هذه البناية أنها كانت مركز أدارة المدينة أو تلك القلعة الشهيرة التي تتحدث عنها المصادر والمؤرخين التي بنيت من قبل الامير المشعشعي [١] عندما ملك جملة من الحواضر ومنها الرماحية وبنى فيها قلعة حصينة في عام ٨٦٠هـ أنظر (الشكل ـ ٣) ومن الاسس ألاخرى الموجودة داخل حدود المدينة هي بنايات صغيرة نسبياً وحسب الظن أن هذه الاساسات كانت حمامات تستخدم في المدينة وهذا مأكدته عدة مصادر بأن المدينة كانت زاخرة بالحمامات

١ـ الساعدي ـ حمود ـ بحوث عن العراق وعشائره ـ دار ألاندلس للطباعة ـ النجف ـ ١٩٩٠ـ ص١٣٤ـ ١٣٥

ويصل عددها الى مايفوق السبعين حماماً [1]

وتوجد أسس وأبنية منتشرة داخل المدينة ومن هذه الاسس بيوت سكنية في المدينة حيث تخبرنا المصادر عن عدد كبير جداً من البيوت في داخلها فأنها كانت تضم حوالي أربعمائة بيت معظمها مبني من اللبن والطين والقسم الاخر مبني بألاجر والجص وكانت بيوت مدينة الرماحية الغالبية منها طابق واحد وعادتاً يتقدم البيت (طارمة) وهذا مأكده نيبور في مكوثه في الرماحية حيث قال جلسنا في بيت الملا (أحمد) وكان بيته يتكون من طابق واحد وتتقدمه غرفة مكشوفة ويعني هذا أن البيت فيه طارمة وكما يضيف نيبور قائلا بأن أهل الرماحية كانوا أغنياء وموفورو الحال والغنى فلابد لهذا الغنى من حال جديد على عمارة المدينة وأبنيتها مما تجعلها في مصاف المدن والحواضر العراقية الكبيرة مثل مدينة البصرة والكوفة وبغداد ولابد من الاشارة بان الرماحية كانت تجمع على عدد من الطوائف والمذاهب المسلمة وغير المسلمة من الشيعة والسنة والنصارى واليهود وغيرهم وهذا التعدد الطائفي والمذهبي قد يضيف للمدينة أعداد كبيرة من الجوامع والكنائس والمعابد وغيرها من أماكن العبادة الخاصة بكل مذهب وطائفة وهذا ماتم الاتفاق عليه بين المؤرخين والكتاب بأن جوامع مدينة الرماحية كانت جميلة جداً وبديعة البناء .

واليوم نرى بأن جميع الكتل البنائية المتناثرة داخل المدينة أنما هي قد تكون حمام أوبيت أوجامع أوكنيسة وغيرهامن المرافق البنائية أو أجزاء السور الذي يحيط بالمدينة

١ـ لمزيد من التفاصيل عن حمامات مدينة الرماحية وأعدادها ينظر (١ـ الرفيعي ـ عبد الامير ـ العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية ـ مطبعة الميناء ـ ٢٠٠٥ـ ج٢ ـ ص٢٧٤ـ٢٧٥ وكذلك ينظر ٢ـ حرزالدين ـ محمد ـ معارف الرجال ـ ج٢ـ مطبعة الاداب ـ النجف ـ ١٩٦٤ ـ ص٢٤٦)

الاستنتاج

نستلخص من خلال البحث والتقصي عن أحوال تلك المدينة بأنها كانت من المدن العراقية الكبيرة جداً ولها الدور المميز في جذب الكثير من الرحالين والمستشرقين وعلماء دين من مختلف الطوائف والمذاهب لما تحويه من مختلف الجنسيات وكذلك يتبن لنا أنها من مدن العصر العباسي الاخير حيث أستقطبت الكثير من الناس في العصر العباسي وعلى رأسهم العشارين اللذين كانوا يمتهنون العشر وأصنافه وكذلك سكنتها ثلة من طبقة الشطار والعياريين الذين طردتهم الدولة من مدينة بغداد ويتضح لنا ايضاً من خلال الزيارات الميدانية بأن المدينة تضم بين دفتيها الكثير من ألاثار والابنية الكبيرة ولعل التنقيب هو الذي يكشف لنا عن مافي داخل هذه المدينة من أخبار وحقائق تغير مجرى الكثير من الاحداث التاريخية